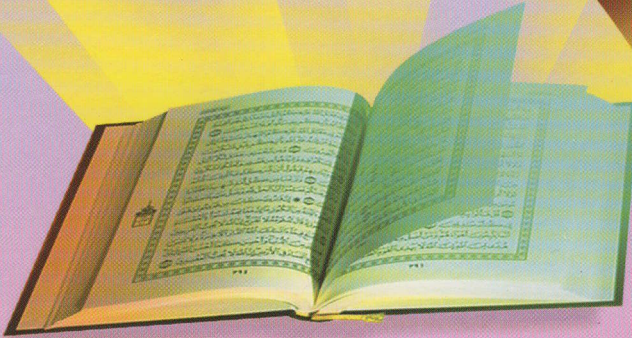


نحو أخلاق السلف

الصبر الجميل

في ضوء الكتاب والسنة



بوسن

تأليف

أبي أسامة سليم بن عيد الهزالي

طبعة مزيادة ومنقحة

دار ابن القيم للنشر والتوزيع
دار ابن عثمان للنشر والتوزيع

الصَّبْرُ الْجَمِيلُ

مجلد اول جلال السلف (۲)

الصَّبْرُ الْجَمِيلُ

في

ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ

تأليف

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

دار ابن القيم للنشر والتوزيع

الدمام - السعودية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

ح) دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهلاي ، سليم عيد

الصبر الجميل في ضوء القرآن الكريم والسنة

الصحيحة - ط ٣ - الدمام .

٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩ - ٠٣ - ٧٦٦ - ٩٩٦٠

٢ - الصبر

١ - قصص الأنبياء

أ - العنوان

٢١ / ٣٤٣١

ديوي ٢٢٩,٥

رقم الايداع ٢١/٣٤٣١

ردمك : ٩ - ٠٣ - ٧٦٦ - ٩٩٦٠



دار ابن عفان للنشر والتوزيع

الحيزة ت: ٣٢٥٥٨٢٠

محمول: ١٥٨٣٦٢٦ / ١٠

جمهورية مصر العربية ص.ب ٨ بين السرايات

البريد الالكتروني: ebnaffan@maktob.com

دار ابن القيم للنشر والتوزيع

الدمام - شارع الخزان

هاتف ٨٤٦٦٥٤ / ٨٢٧٤٥٤٥ فاكس ٨٤٦٦٧٥٢

ص.ب: ١٨٦٥ - الرمز البريدي: ٣١٩٨٢

المملكة العربية السعودية

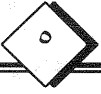
قبس من التنزيل

قال تعالى:

﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ [المعارج: ٥].

قال ﷺ:

«الإيمانُ: الصبرُ والسَّماحةُ».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ،
وَذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَلْقَى فِي الدُّنْيَا لَا يَخْلُو عَنْ نَوْعَيْنِ:

النُّوعُ الْأَوَّلُ: النِّعَمُ الَّتِي أَسْبَغَهَا اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛
فَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْهَا؛ فَلَا يَرْكُنُ إِلَيْهَا، وَلَا يَنْهَمِكُ فِيهَا،
وَيِرَاعِي الْحَقُوقَ؛ فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ.

النُّوعُ الثَّانِي: الْمَصَائِبُ الَّتِي تَحِيقُ بِالْعَبْدِ؛ فَتَأْخُذُ الْأَحْبَةَ،
وَتَهْلِكُ الْأَمْوَالَ؛ فَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ فِيهَا؛ فَلَا يَجْزَعُ.

وَهَكَذَا يَكُونُ الصَّبْرُ ضَرُورَةً بَشَرِيَّةً، وَفَرِيضَةً شَرْعِيَّةً، تَلَازِمُ
الْإِنْسَانَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَتَقْلِبَاتِهِ.

وَلِذَلِكَ لَا بَدَّ مِنْ بَيَانِ هَذَا الْمَقَامِ الْأَعْلَى، وَالْمَقْصِدِ الْأَسْنَى فِي
ضَوْءِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْمَوْسُومَةُ

الصبر الجميل

بـ «الصبر الجميل في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة».
وأرجو الله أن يتقبلها بقبول حسن، ويجعلها للصّابرين إماماً
تهدي بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

وكتبه

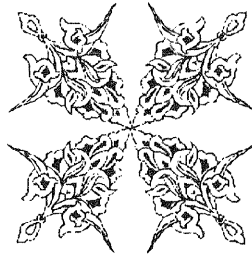
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
ليلة السبت غرة ربيع الآخر سنة
ألف وأربعمائة وثمان من هجرة
رسول الله ﷺ في عمان البلقاء
عاصمة جند الأردن من بلاد
الشام المحروسة.

١. ما هو الصبر؟

هو حبس النفس على طاعة الله بالمحافظة عليها دوماً،
ورعايتها إخلاصاً، وتحسينها علماً.

هو كفُّ النفس عن المعاصي، وثباتها في مقابلة الشَّهوات
ومقاومة الهوى.

هو الرضى بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه، ولا معه.



٢. ما هو حكم الصبر؟

إعلم أخوا الإسلام - أيديك الله بروح منه - أن الصبر واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو كذلك بالضرورة العقلية.

ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في بضع وتسعين موطناً بأنواع عديدة تدلُّ على وجوبه منها:

١-٢- الأمر به؛ كما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٢-٢- النهي عن ضده؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

أُولَئِكَ الْغَنَمِ مِنَ الرِّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٣-٢- الأمر بالاستعانة به؛ كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

٤-٢- الثناء على أهله؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي

الْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٥-٢- إيجابه محبته لهم؛ كقوله جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٦].

٦-٢- إيجابه معيته لهم؛ كقوله: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[الأنفال: ٤٦].

٧-٢- إخباره بأن الصبر خير لأصحابه؛ كقوله: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا

خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

٨-٢- إيجاب الجزاء للصّابرين بأحسن أعمالهم؛ كقوله

سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

٩-٢- إيجابه سبحانه وتعالى الجزاء للصّابرين بغير حساب:

﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

١٠-٢- إطلاق البشرى لأهل الصبر: ﴿وَلَنُبَلِّغَنَّكُمْ أَشْيَاءَ مِنْ

الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وأما السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ فَهِيَ طَافِحَةٌ بِالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى

وجوبه، منها :

قال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ

لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ

أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

وأما الإجماع؛ فقد قال ابن قيم الجوزية في «مدارج

السالكين» (١٥٢/٢): «وهو واجب بإجماع الأمة»:

(١) أخرجه مسلم (١٨/١٢٥- نووي) من حديث صهيب رضي

والواجب على العاقل: أن يوقن أنَّ الأشياء كلها قد فرغ منها؛ فمنها ما هو كائن لا محالة، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه، فإن دفع إلى حال شدة وجب عليه أن يتزر بإزار له طرفان:

أحدهما: الصبر.

والآخر: الرضى.

ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك، فكم من شدة صعبت وتعذر زوالها على العالم بأسره ثم فرج عنه في أقل من لمح البصر. وليعلم العبد الطائع أن وجوب الصبر على الجملة لا على التفصيل، وذلك كما هو مبين في مظانه.

٣. الصبر ضرورة دنيوية وفريضة شرعية

الصبر ضرورة لازمة للإنسان؛ ليلبغ آماله، وتنجح مقاصده؛

فمن صبر ظفر.

فلولا الصبر لما حصد الزارع بذره، ولما جنى الغارس ثمره،

وهكذا كل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر:

استمرؤوا المرء، واستعذبوا العذاب، ومشوا على الأشواك، ولم

يبالوا بالعوائق، والله در أبا يعلى الموصلي القائل:

إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز

قد يعثرون لكنهم سرعان ما ينهضون، وقد يفشلون مرات

ومرات لكنهم لا ييأسون.

لا تياسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجاً

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

هكذا أمر الدنيا فكيف من أراد الفلاح في الآخرة؟

لا شك أن حاجته للصبر أوكد، وضرورته إليه أشد وألزم،

وبخاصة وقد حمل الأمانة التي تنوء بحملها السماوات والأرض

والجبال.

وأهل الأيمان أشد تعرضاً للأذى والحزن والابتلاء في أموالهم

وأنفسهم وكل عزيز لديهم؛ لأنهم ينشدون الجنة، وهي سلعة الله

الغالية، فلا بد لها من ثمن... ولا مفر من الثمن؛ كما قال تعالى:
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١١١].

وقد دفعه أهل الحق على مر العصور؛ فلا بد أن يدفعه
إخوانهم من بعدهم؛ كما قال جل جلاله: ﴿المأحسب الناس أن يتركوا
أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وقال أيضاً: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء ومنزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله
ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ يتلى
الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلماً أشدَّ بلاؤه، وإن
كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(٢)

(٢) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)،

والدارمي (٣٢٠/٢)، وابن حبان (٦٩٨ و٦٩٩)، والحاكم (٤٠/١)

و(٤١)، وأحمد (١/١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) وغيرهم.

والابتلاء خير لأهل الإيمان في الجملة لأمر عدة:

أ- يظهر الصِّفَّ المسلم من الأعداء الذين لبسوا لبوس المؤمنين، وقالوا: نحن معكم، فإذا أصابت أحدهم فتنة أو محنة في سبيل دينه خارت قواه، ووهنت عراه، وفيهم يقول الله:

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ [العنكبوت: ١٠].

فالابتلاء يفرز هذه الأصناف من بين المؤمنين، وينفي الخبث من صفوفهم؛ كما ينفي الكير خبث الحديد.

قال تعالى: ﴿ما كان الله ليدثر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ب- تربية المؤمنين، فالابتلاء ينضجهم، ويقوي عودهم؛ ويصقل معدنهم.

= من طريقين عن سعد بن أبي وقاص به مرفوعاً.

قلت: وهو صحيح.

وله شاهد آخر: أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤)، والحاكم (٣٠٧/٤)،

وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قال.

قال تعالى: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [آل عمران: ١٤١].

وقوله سبحانه: ﴿وليتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ت- يرفع المؤمنين درجات، ويضاعف لهم في الحسنات، ويكفر عنهم الخطايا والسيئات، فيخرجون من الابتلاء كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وذلك لأن الذنوب لازمة للبشر؛ فمن رحمة الله بعباده المؤمنين أن يتعهدهم بالابتلاء الفينة بعد الفينة؛ لتحات خطاياهم بالصبر.

قال ﷺ: «فما يرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(٣).

ومن هنا أمر الله المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة على ثغور النفس؛ لئلا يتسرب إليها اليأس والجزع والسخط والوهن ولن يغني عنهم ذلك شيئاً.

وإذا كان الصبر ضرورة لأهل الإيمان فهو أكثر للرسول والنبين؛ فهم أئمة أهل الإيمان؛ فهم أشد الناس ابتلاء.

(٣) مضى تخريجه برقم (٢).

وقد كان أولو العزم من الرُّسل أشدَّ المرسلين ابتلاءً؛ فكان صبرهم محلَّ القدوة والأسوة.

قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأشدَّ هذه النخبة المصطفاة من المرسلين ابتلاءً هو خاتمهم محمد ﷺ الذي قال: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد»^(٤).

فلا غرو أن نجد آيات كثيرة تأمر الرسول ﷺ بالصبر والاصطبار منها:

قول الله تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير

الحاكمين﴾ [يونس: ١٠٩].

وقوله: ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [هود: ١١٥].

وقوله: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار لعلمك ترضى﴾ [طه: ١٣٠].

(٤) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١) وأحمد

(٣/١٢٠، ٢٨٦)، وابن حبان (٢٥٢٨)، والبغوي في شرح السنة

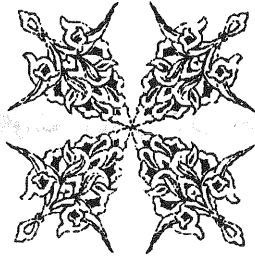
(٢٧٦/١٤).

من طريق حماد بن سلمه عن ثابت عن أنس به مرفوعاً.

قلت: وهذا إسناد صحيح.

وقوله: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾
[الطور: ٤٨].

وقوله: ﴿ولربك فاصبر﴾ [المذثر: ٧].
فيا أخوتي في الله هكذا كان سيّد الصّابرين حتى أتاه اليقين،
فلكم به أسوة حسنة، وقدوة صالحة.



٤. منزلة الصبر

المتَّبِع للمَواطن التي ذكر الله سبحانه وتعالى فيها الصَّبْر في كتابه الكريم وللمواضع التي قالها الرسول ﷺ يتبين بجلاء أن الصبر ذو مقام كريم، وخلق عظيم. ويدلُّك على ذلك أمور هاكها:

١-٤ - اقتران الصَّبْر بالقيم العليا في الإسلام :

أ- قرنه الله باليقين قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤].

لا يخفى على الرِّبَّانين أن شياطين الإنس والجن يقتحمون النفس البشرية بسلاحين:

أحدهما: الشَّهوات؛ لإفساد سلوكه؛ فيغوى.

قال تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ [النساء: ٢٧].

الآخر: الشُّبهات؛ لإفساد فكره؛ فيضل.

والمؤمن الذي يرباط على ثغور نفسه يجاهد هؤلاء الأعداء بسلاحين أمضى وأقوى:

أحدهما: الصَّبْر؛ فيجتث الشهوات والأهواء.

والآخر: اليقين؛ فيحطم الشبهات والأوهام.

فمن اجتاز هذه القنطرة كان إماماً للمتقين .. وهل تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين، وسيأتي مزيد بيان وحسن تفصيل - إن شاء الله.

ب - وربطه الله سبحانه وتعالى بالشكر أربع مرات في أربع سور.

قال تعالى: ﴿وقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال تبارك اسمه: ﴿ألم ترى أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [لقمان: ٣١].

وقال جل ثناؤه: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومنرقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [سبأ: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن مرواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [الشورى: ٣٣].

وكذلك جمع رسول الله ﷺ بين الشكر والصبر فقال: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء

صبر؛ فكان خيراً له»^(٥).

ت - وجمعه الله سبحانه وتعالى مع التوكل في قوله: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [النحل: ٤٢].

وقاله: ﴿نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

فمن جمع الصبر والتوكل فقد حقق مراده، وبلغ غايته؛ لأن النجاح يتوقف على أمرين: أحدهما: من جانب المرء، وفي مقدوره، من جهود تبذل، وصعاب تذلل، وهذه الأمور بحاجة إلى صبر ومصابرة. والآخر: ما لا يملكه مما يحجبه الغيب، وتخبئه الأقدار، وهذا لا يملك المؤمن إزاءها إلا التوكل على الله، والالتجاء إلى ركنه الشديد.

ث - وقرنه ربُّ العالمين بالصلاة في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣].

ج - وقرنه بالتسبيح والاستغفار في قوله تعالى: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ [الطور: ٤٨].

وقال: ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي

والإيثار ﴿غافر: ٥٥﴾.

ح - وجمعه مع الجهاد في قوله تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتلوا جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [النحل: ١١٠]. والجهاد ذروة سنام الجهاد، وكذلك الصبر ذروة سنام الأخلاق؛ لأنه يضمها، ومن أكمامه تخرج مكارم الأخلاق؛ كما سيأتي إن شاء الله.

خ - وربطه بالتقوى قوله تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عندهم الأمور﴾ [آل عمران: ١٨٦].

د - وبالحق في قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ٣].

وتعظيماً لمنزلة الصبر؛ فقد كرر لفظة التواصي به، ولم يكتف بعطفه على الحق دون إعادة صيغة التفاعل تأكيداً على مكانته، وتنبهاً على أهميته المستقلة بذاته، واستحقاقه؛ لأن يتواصى به أصلاً لا تبعاً.

ذ - وقرنه بالرحمة في قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة﴾ [البلد: ١٧].

الصبر هو الثبات على فعل الخير، والرحمة هي المحرك لفعل الخير، ومن هنا كان الربط بينهما والإشارة إليهما.

والمتبع لكلمة ﴿تواصوا﴾ يجدها قد ذكرت أربع مرات في القرآن الكريم: ثنتين في سورة العصر، ومثلها في سورة البلد، وكان للصبر الحظ الوافر، حيث ذكر مرتين، وهذا يفيد أمور:

الأول: علو منزلة الصبر، وأهميته في دين الله وحياة المؤمنين.

الثاني: مشقته على النفوس، وأن اسمه كطعمه، فلذلك يحتاج إلى التوصية، والتذكير بين المؤمنين.

الثالث: إن الصبر هو العامل المشترك بين قيم الإسلام وأخلاقه؛ فهو الذي يجمع شملها، ويلم شتاتها؛ فتبعث موات القلوب، ومن أجل هذا المعنى قرن بها في أكثر المواضع، وقد أشرنا إلى بعضها، والله أعلم.

٢-٤- اشتمال الصبر على أخلاق الإسلام:

اعلم أيها العبد الصابر ابتغاء مرضاة الله، أن الصبر يدخل فيه أخلاق الإيمان، وإن اختلفت الأسماء باختلاف المتعلقات، ودونك البيان.

العفة صبر عن شهوات البطن والفرج.

الشجاعة صبر في ساحات الوغى.

الحلم صبر على دواعي الانتقام عند ثورة الغضب.

سعة الصدر صبر عند الضجر.

القناعة صبر على الكفاف واليسير.

الكتمان صبر على إخفاء أمر.
 ضبط النفس صبر على دواعي طغيان شهوات النفس.
 والزهد صبر عن فضول العيش.
 فيها أنت ترى أنَّ شجرة الأخلاق الإسلامية ساقها الصبر،
 ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال: «السماحة
 والصبر»^(٦).

(٦) حسن - أخرجه الحاكم (٣/٦٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٣٥٧).

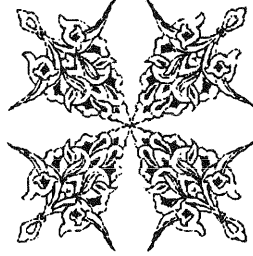
من طريق بكر بن خنيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن
 جده مرفوعاً به.

قلت: وهذا إسناد حسن - إن شاء الله؛ بكر بن خنيس اختلف فيه
 اختلافاً كثيراً، لكن القلب يطمئن إلى ما قرره الحافظ في «التقريب»
 (١/١٠٥) حيث قال: «صدوق له أغلاط».

وتابعه محمد بن ذكوان عن عبيد بن عمير بن عمرو بن عبسه.
 قلت: محمد بن ذكوان ضعيف.
 وتابعه أيضاً سويد أبو حاتم حدثني عبد الله بن عبيد بن عمير عن
 أبيه عن جده.

قلت: وسويد أبو حاتم ضعيف.
 أخرج هذه المتابعات ابن نصر في «الصلاة» (ق ١٤٣/٢).
 وله عنده شاهد مرسل صحيح من طريق ابن شهاب الزهري عن =

وبذلك فإن المسلم لا يسعه أن يستغني عن الصبر في كل
حال من أحواله.



= عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عبيد بن عمير.
وبذلك يثبت الحديث - إن شاء الله.

٥- شروط الصبر

١-٥- الإخلاص:

الصبر مشترك بين الناس جميعاً، لكن الذي يفرق الصبر الشرعي عن غيره هو الدافع؛ فالصبر المحمود في القرآن والسنة هو ما كان لله تعالى حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ [المدر:٧].

وقال أيضاً: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ [الرعد:٢٢].

لقد مدحهم الله؛ لأنهم صبروا ابتغاء وجه الله، وهذا هو الإخلاص المبرأ من شوائب الرياء، وحفظ النفس.

٢-٥ عدم شكوى الله:

شكوى الله إلى العباد تنافي الصبر، وتخرجه إلى السخط والجزع.

قال ﷺ: «فيما يرويه عن ربه: قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، ثم يستأنف العمل»^(٧).

(٧) صحيح - أخرجه الحاكم (٣٤٩/١)، والبيهقي (٣/٣٧٥) من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قلت: وإسناده صحيح رجاله ثقات.

ولله درُّ الشاعر الحكيم:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم
٣-٥- أن يكون في أوانه:

الصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان في أوانه أما
إذا فات الأوان فلا جدوى منه؛ لأنه صبر في غير محله، وبعد
انتهاء أمدته وزمانه.

وهذا ما حكاه الله عز وجل عن صبر أهل النار: ﴿وبرئوا لله
جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تباعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب
الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾
[إبراهيم: ٢١].

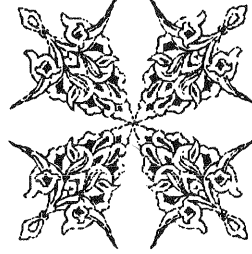
وقال جلّ جلاله: ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما
تجزون ما كنتم تعملون﴾ [الطور: ١٦].

عن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ على امرأة عند
قبر، وهي تبكي؛ فقال لها رسول الله ﷺ: «اتقي الله واصبري».
فقالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبي، ولم تعرفه.
قال: فقيل لها: إنه النبي ﷺ.
قال: فأخذها مثل الموت.

قال: فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين.

فقلت: يا رسول الله لم أعرفك.

فقال ﷺ «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٨).



(٨) أخرجه البخاري (٣/١٤٨-الفتح)، ومسلم (٦/٢٧٧-٢٢٨-

نووي).

والمراد بـ «الصدمة الأولى»: مفاجأة المصيبة عند ذروتها همولتها؛ لأنه إذا طالت الأيام وقع السُّلُو طبعاً، وحينئذٍ لا فائدة من الصَّبْر؛ لأنه جاء بعد فوات الأوان.

٦. مجالات الصبر

٦-١- الصبر على بلايا الدنيا:

لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء، وخسران المال.

وهذا ما لا يخلو منه برٌّ ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضى وطمأنينة تفعم قلبه الذي أسلس قياده لقلب القلوب والأبصار؛ لأنه يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: ﴿ولبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥].

فالبلاء هنا عام يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات.

ومن لطف الله ورحمته بعباده أنه جعل البلاء: ﴿بشيء من﴾ الآية؛ ليدل على التقليل مراعاة لضعف العباد، وتخفيفاً عليهم، ورحمة بهم.

وفي هذا المجال كان صبر أنبياء الله مثلاً يُقتدى؛ فأيوب عليه السلام صبر على مرضه وفقد أهله، ويعقوب صبر على فراق ولده، وكيد أبناءه، ويوسف صبر على السجن والافتراء والدسّ

والتشويه الذي مارسته امرأة العزيز قبل أن يحصص الحق.

٢-٦- الصبر عن شهوات النفس:

إذا أخذت الدنيا زينتها وأقبلت على الإنسان تراقص كالحسناء اللعوب، ونشرت شهواتها ذات اليمين وذات الشمال، فهذا لون جديد من الابتلاء إنه فتنة السراء؛ لأن الله يبلو عباده بالشر والخير.

قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

انظر رحمك الله لقد جعل ذو الجلال والإكرام التنعيم والإكرام ابتلاء كالتضييق في الرزق سواء.

ولذلك فالعبد الصالح محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا وشهوات النفس؛ فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

وثمة أمر آخر للصبر في هذا المجال إنه الصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين، والاعتزاز بما ينعمون به من مال وبنين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَنْزَوْنَا مِنْهُمْ نَزْهَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ رِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

ولا تظن أيها العبد القانع بما آتاه الله أن ما في أيدي الطغاة

العتاة المغرورين نَعَمْ.. إنها نِقَمٌ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ألم
تقرأ قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمْدِدُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ مُتَّبِعٍ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا
يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦، ٥٥].

وهذا هو المثال لا يزال شاخصاً للذين يعتبرون في كلِّ
القرون.

لقد خرج قارون الذي ملك الكنوز ذات المفاتيح التي تنوء
بالعصبة أولى القوة.. خرج على قومه في كامل زينته، وأبهى
حلته، وفخامة موكبه ومركبه، فقال الذين يريدون الحياة الدنيا
وزينتها في حسرة وتلهف: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
[القصص: ٧٩].

ولكنَّ الدنيا لن تخلو من ناصح أمين وَرِثَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
وَالصَّبْرَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وكان ما قدره الله فصل الخطاب: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا
كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنْصِرِينَ وَأَصْحَابُ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ
بِالْأَسْمَاءِ يَقُولُونَ وَيَكُنُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا
لُخْسَفْنَا وَيَكُنْ أَنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨١، ٨٢].

٣-٦- الصبر على طاعة الله:

الطريق إلى الله مليئة بالعوائق؛ لأنَّ النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس، ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلا بدَّ من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار.

قال تعالى: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلمه سمياً﴾ [مريم: ٦٥].

وقال جل ثناؤه: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك مرزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى﴾ [طه: ١٣٢].

والصبر على طاعة الله يتكون من ثلاث شعب:

الأولى: صبر قبل الطاعة، بتصحيح النيَّة والإخلاص والتبرؤ من شوائب الرِّياء.

قال تعالى: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [هود: ١١].

لقد قدّم الله سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر على حال الطاعة حيث لا يغفل عنه أثناء تأديتها، ولا يتكاسل؛ فيأتي بها على أكمل وجه مشروع متبعاً ما بيّنه الرسول ﷺ حذو القذة بالقذة.

قال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غير فأتجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

الثالثة: الصبر بعد العمل؛ فلا ينظر لنفسه بعين العجب؛ فيتظاهر بما قدّم سمعة ورياء؛ لئلا يبط عمله، ويبطل أجره، ويمحو أثره.

٤-٦- الصبر في الدعوة إلى الله.

الدعوة إلى الله سبيلها طويل، تحفُّ به المتاعب والآلام، وذلك أن الدعاة يطلبون من الناس أن يُطلقوا أهواءهم، وَيَنَحَرُوا أوهامهم، ويثوروا على شهواتهم، ويقفوا عند حدود الله أمراً ونهياً.

وأكثر الناس لا يؤمنون بهذا النمط الجديد؛ فيتخذون من هذه الدعوة عدواً يجاربونه بكلّ سلاح.

وأمام هذه القوة العاتية، والسّلطة الطاغية لا يجد الدعاة مفرّاً من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيف لا ينبو، ومطية لا تكبو، ونور لا يخبو.

وحينئذ لا بدّ أن يتنادى أهل الإيمان؛ ليتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر؛ لينجو من الخسران المبين الذي يواجهه الفارّين من وجه الهدى.

وفي ذلك أنزل الحق سورة كاملة هي سورة العصر: ﴿والعصر
إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾
[العصر: ١-٣].

ومن هذه العصابة المباركة العبد الصالح لقمان وابنه، وها
هو لقمان يوصي ابنه: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧].

ودونك أيها الداعي إلى الله على بصيرة بعض المعوقات التي
تعرض طريقك؛ لئلا تأخذك على حين غرة:
أ- إعراض الناس عن دعوتك.

لا شيء أثقل على صاحب الحق وهو يصيح بأعلى صوته،
وينادي بملء فيه، لينقذ الناس من الظلمات إلى النور، فلا يجد إلا
آذاناً صمّاً، وقلوباً غلغلاً... أناساً قد استغشوا ثيابهم، وأصروا
واستكبروا استكباراً.

فها هو نبي الله نوح ﷺ يناجي ربه: ﴿قال رب إنني دعوت قومي ليلا
ونهاراً فلم يزددهم دعائي إلا فراراً وإنني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً﴾ [نوح: ٥-٧].

ولكن التحديات تزيد عود داعي الله صلابة، وهمته
شموخاً، فلا يفتأ قائماً على أمر الله، ظاهراً على الحق، لا يضره

من خالفه، ولا من خذله حتى يجعل الله له سبيلاً: ﴿ثم إنني دعوتهم
جهاراً ثم إنني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ [نوح: ٩٨].

هذا هو شأن قوم أول المرسلين نوح عليه السلام وهو موقف قوم
خاتم المرسلين محمد عليه السلام لم يتغير ولم يتبدل، وهذه سبيل المجرمين في
كل القرون ﴿أتوا صوابه بل هم قوم طاغون﴾ [الذاريات: ٥٣].

ويصف الله تبارك وتعالى موقف قريش من النبي عليه السلام: ﴿حم
تنزل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً وندياً
فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون﴾ [فصلت: ١-٥].

ولهذا قال الله تعالى أمراً نبيه عليه السلام: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا
تخزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾
[النحل: ١٢٧، ١٢٨].

ب- الأذى من الناس قولاً وفعلاً.

أعداء الحق يقابلون الإحسان بالإساءة، فالداعي إلى الله
يحض لهم النصيح؛ فيتهموه بما ليس فيه، ويدعوهم إلى الله
بالموعظة الحسنة؛ فيردوه بالسوء، ويجادلهم بالتي هي أحسن؛
فيقاوموه بالتي هي أحسن، ويصدع بينهم بالحق؛ فلا يسمع منهم
إلا الباطل.

الصبر الجميل

وفوق هذا كله تمتدُّ يد الباطل إلى الأموال؛ فتنصبها، وإلى الأبدان؛ فيعذبها، والحرمان؛ فينتهكها، والأنفس فيقتلها. وهذا ما أشار إليه ربُّ العزّة مخاطباً المؤمنين؛ ليوطنوا أنفسهم على الصبر والثبات: ﴿تبلون في أموالكم وأنفسكم ولستم من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثير وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وفي الآية نكت لطيفة ينبغي لفت نظر الدعاة إليها: الأولى: وصف الله سبحانه وتعالى الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين بالكثرة، وهذا يدل على أن حرباً كلامية وإعلامية ستشن على أهل الإيمان. أسلحتها: التشويه، والتشويش، والدس، والافتراء، والتحريف.

شعارها: الغاية تسوِّغ الوسيلة، واكذب واكذب حتى يصدقك الناس.

فلا بد من احتمال مكارهها، والصبر على تجرع غصصها حتى يأتي أمر؛ فيحق الحق، ويبطل الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً. الثانية: قرن الله الصبر بالتقوى فلا بد أن يجمع المؤمنون التقوى والصبر لمواجهة هذه الحرب الضروس.

الصبر للثبات في وجه الباطل.

والتقوى للتعفف عن مقابلة الخصوم بأسلحتهم الخبيثة؛
فالمؤمن لا يواجه الدسَّ بالدسِّ، ولا الافتراء بمثله؛ لأن المؤمنين
يحكمهم قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا
يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما
تعملون﴾ [المائدة: ٨].

الثالثة: قرن الله بين أهل الكتاب والمشركين على اختلاف
مشاربهم ووجهاتهم.

وفي هذا لفتة رائعة إلى أن عداوتهم للإسلام وأهله وحدثت
بينهم على اختلاف.

هذا ما قرره القرآن الكريم قبل مئات السنين وأيده التاريخ
والواقع.

لقد وجدنا اليهودية العالمية، والصلبية النصرانية، والشيوعية
الدولية تختلف بينها أشد الاختلاف، ثم تناسى هذا كله عندما
يكون الإسلام هو العدو.

قال تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ [الجاثية: ١٩]

... نعم أيها المسلمون: إن الكفر ملّة واحدة.

إن عجي لا ينقضي من أمة يقرر دينها هذه الحقيقة، ولكنها

الصبر الجميل

تتكالب على خطب وُدِّ أعدائها من يهود ونصارى وشيوعيين، ويرتمي ولاة أمرها في أحضانهم... فصبر جميل، والله المستعان على ما يفعلون.

وأنبياء الله جميعاً يمثلون هذا النوع من الصبر حيث قالوا ردّاً على أذى أقوامهم: ﴿ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ [إبراهيم: ١٢].

وكان عزاء رسول الله ﷺ أن الرُّسل جميعاً من قبله حدث لهم الأذى والتشويه والافتراء: ﴿وقد كذبت مرسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومن هنا أمر الله رسوله ﷺ أن يصبر على إيذاء قومه: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً﴾ [المزمل: ١٠].

ولقد ضرب سحرة فرعون حين وقع الحقُّ فأمّنوا مثلاً رائعاً في الصبر، فلم يفت من عضدهم، ولم يزعزع يقينهم تهديد فرعون: ﴿آمنتم به قبل أن أذن لكم إن هذا المكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لآقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ [الأعراف: ١٢٣-١٢٤].

ما هذا الوعيد الهادر من طاغية جبار يقول للناس: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إله غيري.

إن أمواجه تتحطم على يقين المؤمنين الذين وقفوا كالجبال الشَّم، ولكنهم توجهوا إلى الله؛ ليشبّتهم، ويلقي في قلوبهم السكينة، ويفرغ عليهم الصَّبْر: ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تقدمنا إلا أن آما بآيات ربنا لما جاءنا فرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦].

ت- استبطاء النصر والفرج.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى العاقبة للمتقين، وكتب لهم التَّمكين في الأرض ليكون الدين كله لله، ولكن هذه المنزلة لن يبلغها المؤمنون بين عشية وضحاها، ولن تتحقق بالأمانى والأحلام، ولن تشرق شمسها إلا بعد ليل طويل حالك من الفتن والشّدائد والحن، تزيغ لهولها الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر، ويظنُّ الناس بالله الظنون، هنالك يبتلي المؤمنون ويزلزلون زلزلاً شديداً، ولا يثبت إلا المخلصون، حينئذ يكون نصر الله أقرب للمرء من نفسه التي بين جنبيه.

قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤].

متى نصر الله؟ استبطاءً له، واستعجالاً لجيئه؛ هنالك يجيء الغوث للملهوف، والفرج للمكروب؛ فتفرح القلوب ألا إن نصر الله قريب.

وليعلم المسلم المتعلق بمجال الفرج أن في التأخير لطائف أسرار منها:

أ- أن الكرب كلما اشتدَّ كان الفرج قريباً؛ كما في قوله تعالى: ﴿حتى إذا استئسَّ الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ [يوسف: ١١٠].

ب- أن الكرب كلما اشتدَّ وجد اليأس من كشفه من جهة المخلوق، وازداد التعلق بالخالق حتى يصل العبد إلى محض التوكل الذي هو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج؛ كما قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣].

ت- أن الكرب كلما اشتدَّ؛ فإن العبد حينئذٍ يحتاج إلى زيادة مجاهدة الشيطان؛ لأنه يأتيه؛ فيقنطه، ويسخطه، فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه، فيحوز ثواب مجاهدة عدوه ودفعه.

ولهذا قال ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي؛ فيدعُ الدعاء»^(٩).

ث- أن المؤمن كلما استبطأ الفرج واستيأس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وإلحاح التضرع ولم تظهر له أثر الإجابة رجع إلى نفسه يلومها قائلاً: إنما أتيت من قبلك.

(٩) أخرجه البخاري (١١/١٤٠-فتح)، ومسلم (٤/٢٠٩٣).

وهذا اللوم أحبُّ إلى الله من أكثر الطاعات؛ لأنه يورث العبد الصَّالِح انكساراً لربه؛ فلذلك يسرع إليه الفرج، ويتوَّاب إليه اليسر؛ لأنَّ الله عند المنكسرة قلوبهم لأجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر.

قال تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ [النمل: ٦٢].

٥-٦- الصبر حين البأس:

إذا لاقى المسلمون أعدائهم زحفاً؛ فإن الفرار حينئذٍ كبيرة موبقة، حيث يصبح الصبر والثبات فريضة لازمة، فالصبر هنا شرط أساسي للنصر، وعنصر ضروري لقهر العدو.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله

كثيراً لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥].

قال ﷺ: «النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإنَّ مع العسر يسراً»^(١٠).

(١٠) صحيح لغيره - أخرجه أحمد (٣٠٧/١)، والحاكم (٥٤٢/٣)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠/١١)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٣٩٧-٣٩٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٤٥)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٦٣٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٤/١) وغيرهم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن هنا أثنى الله على الصّابرين تحت ظلال السيوف فقال:
 ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾
 [البقرة: ١٧٧].

وأعظم ما تشتدُّ به الحاجة إلى الصّبر في الحرب عندما
 ينفطر عقد الصّفِّ، وتدبُّ روح الهزيمة في المقاتلين، وتنتشر
 الشائعات المثبّطة للهمم المحطمة للعزائم.

وخير من يمثل هذا المجال رسول الله ﷺ؛ فعندما كان يشد
 الوطيس يتخذه المسلمون جُنَّةً؛ كما حدث في غزوة أحد وحين.
 ولقد كان النّبِيُّون من قبل صابرين في ساحات الوغى.

﴿وكان من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما
 ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وها هو طالوت والقلة المؤمنة من جنوده يلقي على المؤمنين
 درساً عملياً حيث عقد لجنوده امتحاناً يختبر صبرهم: ﴿فلما فصل
 طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا
 من اغترف غرفة بيده فشرى منه إلا قليلاً منهم﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هكذا يجب على القائد الحريص على دعوته وجنده أن يختبر

= قلت: مفرداتها لا تخلو من مقال، لكن بمجموعها يصبح الحديث
 حسناً، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، والله أعلم.

قدرتهم قبل أن يقذف بهم في المعارك، حيث تتجلى الحقيقة الهامة وهي: أن الذي لا يصبر على الأمر اليسير لا يمكن أن يثبت عند التقاء الجمعين، فلا بد من التربية قبل الجهاد.

إن الذين نجحوا في الامتحان قلّة تبيّن صبرها عند الشدّة؛ فاجتازت النهر مع طالوت: ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا امرنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرتنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٤٩، ٢٥٠].

يا لروعة التعبير القرآني المعجز... إنهم لم يسألوا الله قدراً معيناً من الصبر بل طلبوه أن يفرغ عليهم إ فراغاً... إن نفوسهم لم تطعم ماء النهر، ولكنها تواقّة لتشرب كأس الصبر حتى الثمالة. وكانت النتيجة التي ستكرر على مر العصور: ﴿فهزموهم ياذن

الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك﴾ [البقرة: ٢٥١].

٦-٦ الصبر على الزوجة والأولاد:

النساء والبنون محبة للنفس الإنسانية، بل هما زينة الحياة الدنيا؛ لذلك فهما فتنة؛ لقوله تعالى: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ [الأنفال: ٢٨].

وقد بيّن الرسول ﷺ الكثير من جبلة النساء؛ لتستبين

للرجال سبيل معاملتهن، والصبر على ضعفهن الذي يسبب خلافات في العلاقات الزوجية.

ولذلك لا تستقيم الحياة الزوجية إلا بأن يكون الزوجان واقعيين يصبر كلُّ منهما على صاحبه، ويتحمل منه بعض ما لا يروقه بل بعض ما يؤذيه.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى الرجال بالصبر؛ فإن أحسَّ بالنفور في نفسه قبل زوجه؛ فليقدم العقل على العاطفة، وينقاد للأخلاق على اتباع الهوى والشهوة.

قال تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء: ١٩].

٦-٧- الصبر على الأخوة في الله:

أشاد الله بنیان المجتمع الإسلامي على أسس قوية، وعرى وثيقة، ووشائج مترابطة تنتظم كيان الأمة الإسلامية؛ فتغدو جسداً واحداً.

لكن الإنسان من طبيعته النقص، والنسيان والغفلة؛ لذلك قد يصدر منه أفعال تؤذي إخوانه.

فإن قابلوها بمثل فعله كانوا عوناً للشيطان عليه؛ لذلك لا بدَّ أن يحضوا له النصح، ويدروا بالحسنة السيئة؛ ليعود المخطيء

إلى عرينه؛ فيأترف الشمل، ويستأنف العمل.

وفي هذا يقول رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وما ينزغك من الشيطان نرغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

وبشّر الله سبحانه وتعالى الذين استجابوا لهذا النداء الربّاني بالفوز والفلاح والنجاح: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويذرّون بالחסنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ [الرعد: ٢٢].

وهذا النوع من الصبر يجب أن يكون مشفوعاً بالرحمة والشفقة والرأفة على الأخ؛ لتزداد الألفة، ويتماسك البناء، وتشتدّ أركانه.

قال تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة أولئك أصحاب الميمنة﴾ [البلد: ١٧-١٨].

فطوبى لمن أجم نفسه بلجام الحلم، وكبح جماحها عند فورة الغضب ودواعي الانفعال، وحرص على دفع التي هي أحسن والتي هي أحسن؛ لأن هذا السلوك الجميل يهدي للتي هي أقوم، ويحيل العدو اللثيم إلى صديق حميم.

وهكذا فلتكن أيها الأخ في الله حريصاً على كسب قلب
محب؛ لأنك بذلك تنقص صف الأعداء واحداً.

٨-٦- الصبر على طلب العلم:

العلم ميراث النبوة؛ فمن سلك سبيله؛ فقد أخذ بحظ وافر،
فطالب العلم يجب أن يراعي آداب الطلب، ويصبر على لأواء
الطريق، ويتجشم الصعاب ليلبغ ما أراد.

وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وهو
الخضر، بيان لضرورة صبر طالب العلم، إن أراد أن يصل إلى
بغيته، ويدرك غايته .

قال تعالى: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علماً قال
له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت مرشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً قال فإن اتبعني
فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا حتى إذا مر كبا في السفينة
خرقها قال آخرتها لتغرق أهلها قال آخرتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ قال أم أقل إنك
لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً فانطلقا حتى إذا
لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال أم أقل لك إنك لن
تستطيع معي صبراً﴾ [الكهف ٦٥-٧٨].

قال رسول الله ﷺ بعد أن أخبر في حديث طويل بتفاصيل

هذه الرحلة العلمية:

«يرحم الله موسى لو كان صبر يقصُّ علينا من أمرهما»^(١١).
ودونك فقه القصة.

أ- طالب العلم يجب أن يكون متواضعاً، فلا يدّعي أنه
أعلم أهل زمانه، ولا يزعم أن ما عنده من علم أوتيّه من عند
نفسه.

ولذلك أراد الله أن يؤدّب موسى - عليه السلام - وهو نبيه
وكليمة الذي أجاب على سؤال: لا أعلم على الأرض أعلم مني.
لقد كان يجبُ أن يرد علم ذلك إلى الله؛ لأنه لا علم للبشر
إلا ما علمهم الله؛ وفوق كل ذي علم عليم.

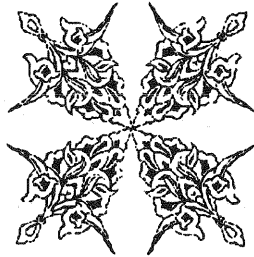
فلعل هذا المقصد الربّاني يرسخ في قلوب كثير من طلبة
العلم الذين لم يروا إلا أنفسهم؛ فراحوا يقسمون رحمة الله بين
عباده مخدوعين بما يرونه من كثرة العرض لبعض الناس، أو
لأنفسهم متناسين أن العلم لا يقاس بالكمّ، ولكن بالكيف.

ب- طالب العلم يجب أن يصبر ويصابر فلا يستعجل؛ لأنّ
من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

ت- طالب العلم يجب أن يلتزم مع شيخه بما عقد معه من
شرط؛ فالمؤمنون عند شروطهم.

(١١) أخرجه البخاري (٦/٤٣١-٤٣٣-الفتح) وغيره.

ث- يجب أن يراعي الشيخ ضعف تلميذه؛ فلا يواخذه من أول عشرة بل عليه أن يذكره، ويتعهد بالإرشاد. وفي هذه القصة القرآنية التي فصلتها السنة النبوية الصحيحة أمور عظيمة أدغمتها لا تخفى على طلبة العلم عند التأمل والتدبر. ولقد صنف أهل العلم من هذه الأمة تصانيف طيبة تعالج آداب طلبة العلم وصفات المتعلم وأخلاقه منها: «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله»، و«الفقيه والمتفقه»، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، وغيرها كثير طيب.



٧. فضائل الصبر

رتَّب الله تبارك وتعالى خيرات الدنيا والآخرة على الصَّبر،
فكل خير ترتجيه وكل شر تهرب منه منوط بالصَّبر.

٧-١- معية الله مع الصابرين؛ لقوله جل شأنه:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد ذكرت هذه المعية في عدة مواطن من كتاب الله.

٧-٢- محبة الله للصَّابرين؛ لقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

٧-٣- صلوات من الله ورحمة على الصابرين؛ لقوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ففي هذه الآية الكريمة جمع الله للصَّابرين الصَّلوات من الله،

والرَّحمة، وضمن لهم الاهتداء، وزفَّ لهم البشري.

٧-٤- ضمان النَّصر والمدد للصَّابرين؛ كما في قوله تعالى:

﴿بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا يَا تَوَكَّلْ مِنْ فَوْرِهِ هَذَا يمددكم ربكم

بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به

وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿ [آل عمران: ١٢٥-١٢٦].

وقال ﷺ: «النصر مع الصبر»^(١٢).

٥-٧- الوصول إلى منزلة الإمامة في الدين :

قال العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية في

كتابه الموسوم بـ «مدارج السالكين» (٢/١٥٤):

«سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : بالصبر واليقين

تنال الإمامة في الدين.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا

يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]».

٦-٧- الحفظ من كيد الأعداء:

قال تعالى: ﴿إن تمسكم حسنة تسؤم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها

وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ [آل

عمران: ١٢٠].

٧-٧- الانتفاع بالصبر والاتعاظ بآيات الله في الآفاق

والأنفس، قال تعالى:

﴿ومن آياته الجوارية في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن

مرواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [الشورى: ٣٢] و

٨-٧- استحقاق الصّابرين دخول الجنّة، وذلك الفوز العظيم.

قال تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً﴾

[الفرقان:٧٥].

وقال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلاماً عليكم بما

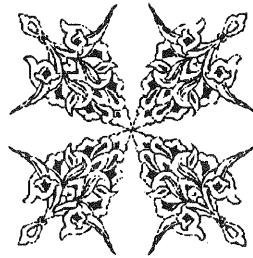
صبرتم فنعمة عسى الذاكر﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

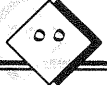
هذه الفضائل يسير من كثير، فلا جرم أن يكون الصبر ضياءً

ونوراً في الأرض وذخراً في السماء.

ولله در القائل:

الصبر مثل اسمه مرّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل





٨. أمور تعين على الصبر

لا يشك ذو مسكة عقل أن الصبر مرُّ المذاق، صعب على النفس البشرية؛ لأنه يفظمها عن مألوفاتها ورغباتها، لذلك فلا بدَّ من تعويدها عليه شيئاً فشيئاً حتى تستسيغه وتعض عليه بالنواجذ عند المصائب والفتن.

ودونك جملة من الأمور تعين على الصبر، وتهونه على النفس، وهي:

١-٨- معرفة طبيعة الحياة الدنيا.

لعل أقرب أمر يعين الإنسان على الصبر ويحمل النفس عليه هو تصور الحياة التي يعيش فيها، ومعرفتها على حقيقتها وواقعها، فهي ليست جنة نعيم، ولا دار مقامة، وإنما ممر ابتلاء وتكليف، لذلك فالكيِّس الفطن لا يفاجأ بكوارثها، فالشيء من معدنه لا يستغرب.

ولله در القائل:

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صا لح الأعمال فيها سفنا
وربُّ العالمين يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بمخاطر

مملوءة بالمتاعب في قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ [البلد: ٤].
 فها هي الدنيا كما وصفت لا تستقيم على حال، ولا يقر لها
 قرار، فيوم لك وآخر عليك، قال تعالى: ﴿إن يمسكتم قرح فقد مس
 القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقد أحسن أبو البقاء الرندي القائل:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
 هي الأيام كما شاهدتها دول فمن سره زمن ساءته أزمان
 وليعلم العبد الصالح أنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا
 مبتلى: إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا
 أحلام نائم، وظل زائل، وسحابة صيف؛ إن أضحكت قليلاً
 أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً أساءت دهرأ، وإن متعت قليلاً
 منعت طويلاً.

٢-٨- اليقين بحسن الجزاء عند الله.

إذا علم العبد أن الصّابرين ينتظرهم أحسن الجزاء عند الله
 حين يرجعون إليه، ويقفون بين يديه؛ فيعوضهم عن صبرهم
 خيراً، ويمنحهم أجراً، ويجزل لهم المثوبة، فإنه لا شك يتصبر
 ويرضى بما قدره الله، ولا يجد المتبع لآيات القرآن الكريم شيئاً
 ضخم جزاؤه، وعظم أجره مثل الصّبر .

فها هو يتحدث عن هذا الأجر بأسلوب المدح والتفخيم:

﴿ثم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾

[العنكبوت: ٥٨ و ٥٩].

ويبين أن جزاؤهم يكون بأحسن ما كانوا يعملون:

﴿وما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما

كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٦].

ويصرح أن أجر الصَّابرين غير معدود ورزقهم غير محدود:

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠].

٣-٨- معرفة الانسان نفسه.

الله - سبحانه وتعالى - هو الذي منح الإنسان الحياة، فخلقه

من عدم، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولاً

وآخرأً، لذلك فإذا نزل بالعبد نازل سلبه شيئاً مما عنده، فإنما

استرد صاحب الملك بعض ما وهب، ولا ينبغي للمودع أن

يسخط على صاحب العارية إذا استردها.

وصدق لبيد بن ربيعة رضي الله عنه القائل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وفي قصة أم سليم مع زوجها أبي طلحة دليل واضح على

فهم السلف الصَّالح - رضوان الله عليهم -، لهذه الحقيقة حيث

عرفوا أنفسهم؛ فعرفوا مقام ربهم، وقدره حق قدره.

عن أنس رضي الله عنه قال:

مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا
أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه.

قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم
تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت
قد شبع وأصاب منها.

قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل
بيت؛ فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا.
قالت: فاحتسب ابنك.

فقال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني؛
فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ؛ فأخبره بما كان.
فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما».

قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ، في سفر وهي
معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقتها
طروقاً فدنوا من المدينة فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو
طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن
أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست
بما ترى .

قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد،

قال: فضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاماً.

فقلت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رأيته قال: «لعل أم سليم ولدت».

قلت: نعم فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعت في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة؛ فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في الصبي يتلمظها.
قال: فقال رسول الله ﷺ:

«انظروا إلى حب الأنصار التمر»، قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله.

[قال سفيان: قال رجل من الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن] (١٣).

وهذه المعاني قبس من قوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

(١٣) أخرجه البخاري (٣/١٦٩ و٩/٥٨٧ - الفتح)، ومسلم

(١٦/١١-١٣ - نووي)، واللفظ له.

وما بين معكوفتين زيادة للبخاري في الموطن الأول.

[البقرة: ١٥٥ و ١٥٦].

هذه الكلمة الطيبة تتضمن أصليين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته:

إحداهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة.
الآخر: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق؛ ليوفيه حسابه.

فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته، فكيف يفرح بوجود أو يأس على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم معين على التحلي بالصبر عند الشدائد، والمصائب، والمحن، والفتن، فاللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

٤-٨- اليقين بالفرج .

لا يشك العاقل أن نصر الله قريب، وفرجه آت لا ريب فيه، وأن بعد الضيق سعة، ومع العسر يسراً؛ لأن الله وعد بهذا، والله لا يخلف الميعاد.

وهذا اليقين جدير أن يبدد ظلمه القلق، ويقهر شبح اليأس، ويضيء نفس المؤمن بنور الصبر الذي لا يخبو.

ولذلك ورد الصبر في كتاب الله مقروناً بأن وعد الله حق،

كما في قوله تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾

[الروم: ٦٠].

وقوله جلّ شأنه: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾

[غافر: ٥٥].

وقد وعد الله عباده الصّابرين بقرب الفرج في صور شتى

منها:

١- الوعد بالسعة بعد الضيق، والرّخاء بعد الشدة، واليسر

بعد العسر، وفي هذا يقول جلّ وعلا: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾

[الطلاق: ٧].

ولم يكتف الخالق سبحانه وتعالى أن جعل اليسر بعد اليسر

بل جعله في موطن آخر معه وبصفة التأكيد حيث قال: ﴿فإن مع

العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ [الشرح: ٦٥].

وفي هذه الآيات يتجلى أمران:

أ- تحقق اليسر بعد العسر تحقّقاً قريباً حتى كأنه معه وامتصل

به، حتى لو دخل العسر جحر ضب لتبعه اليسر، ولن يغلب عسر

يسرين.

ب- أن مع العسر يسراً بالفعل، ولكن قد يكون ملموساً أو

مكنوناً؛ ففي كل قدر لطف، وفي كل بلاء نعمة.

ولا يشك مؤمن عرف ربه وآمن به أن الله يقدر ويلطف:

﴿إن ربّي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾ [يونس: ١٠٠].

لأنه أعلم بمن خلق وأرحم بهم من أنفسهم: ﴿الأي علم من خلق

وهو اللطيف الخير ﴿[الملك: ١٤].

٢- الوعد بحسن العاقبة، والعبرة بالعواقب، والمدار على الخواتيم.

قال تعالى: ﴿فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ [هود: ٤٩].

ولقد أحسن القائل:

اشتدي أزمة تفرجي قد آذن ليك بالبلج
ولله در القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج
٣- الوعد بحسن العوض عما فات؛ فإنَّ الله لا يضيع أجر
من أحسن عملاً.

قال تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئهم في الدنيا حسنة
ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾
[النحل: ٤١، ٤٢].

٥-٨- الاستعانة بالله:

إذا استعان العبد بربه، ولجأ إلى حماه شعر بالطمأنينة في قلبه،
والسكينة تملأ جوارحه؛ فمن كان في حمى الله فلن يضام.
قال تعالى: ﴿واستعينوا بالله واصبروا﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ومن كانت معية الله معه، وعين الله ترعاه؛ فهو حقيق أن

يتحمل المتاعب، ويصبر على الأذى.

٦-٨- التآسي بأهل الصبر والعزائم.

إنَّ التأمّل في سيرِّ الصّابرين، وما لاقوه من ألوان الشدائد، وما ذا قوة من صنوف البلاء، يعين على الصبر، ويطفىء نار المصيبة ببرد التآسي.

ومن هنا حرص القرآن الكريم، والسنة النبوية على ذكر قصص الأنبياء، والصالحين، تسلياً للنبي والمؤمنين، وتثبيتاً لقلوبهم في مواجهة البلاء والفتن.

قال تعالى: ﴿وكلّما قص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ [هود: ١٢٠].

ويجيء الخطاب الربّاني لرسول الله ﷺ قائلاً: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فإذا ضاق صدره بما يفعلون، وأدركه الحزن عليهم مما يمكرون، وجد في صبر إخوانه من المرسلين ما يشد أزره، ويمضي عزمه، ويذهب همه، فهو ليس بدعاً مما أصاب الرسل من قبله، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾ [الانعام: ٢٤].

٧-٨- الإيمان بقدر الله وقضائه:

على المسلم أن يعلم علم اليقين أن قدر الله نافذ لا محالة، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا كَيْلًا تُنْزِلُ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ كُلَّ مُحْتَمَلٍ فَخُورًا﴾ [الحديد: ٢٢].

إن الركون للصبر في مثل هذا المقام أمر محمود بل واجب؛ لأن المقادير نافذة سواء أرضي العبد أم سخط، صبر أم جزع، ولكن العاقل ينبغي أن يتحلى بالصبر حتى لا يحرم المثوبة، وإلا ستؤول به السنن الكونية إلى صبر الاضطرار الذي لا قيمة له في دين الله كما بينا في شروط الصبر لقول النبي: «الصبر عند الصدمة الأولى»^(١٤).

وذلك لأن العبد إن صبر إيماناً واحتساباً نفذت فيه المقادير وله الأجر، وإن جزع وهلع وتبرم سلى سلو البهائم ونفذت فيه المقادير، وعليه الوزر.

إن التسليم بالقدر هو مقتضى العقل والدين معاً، وإلا فليفعل ما يشاء من إظهار الكآبة والمبالغة في التوجع والتشكي،

(١) مضي تخريجه برقم (٨).

ولن يغير من الواقع شيئاً، ولن يبدل سنن الله في الكون، وإنما يزيد نفسه كمداً وغماً وحسرةً.

وانظر أيها العبد الصالح كيف يقرر الله هذه الحقيقة مخاطباً رسوله الكريم ﷺ حين آذاه موقف قريش وتكذيبها له: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت مرسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تتبغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ [الأنعام: ٣٣-٣٥].

وقال الله عز وجل للقائنين من رحمته الله اليائسين من نصره: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليظن هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج: ١٥].

٨-٨ استصغار المصيبة:

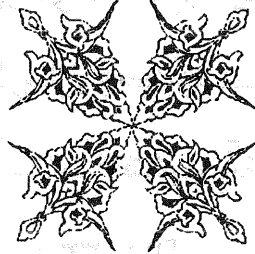
قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم بمصيبة؛ فليذكر مصيبته بي؛ فإنها أعظم المصائب»^(١٥).

(١٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٧٥)، والدارمي

(٤٠/١) من طريق فطر بن خليفة عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً.

وكتب بعض العقلاء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له:
محمد؛ فنظم الحديث الأنف شعراً فقال:

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم أن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت محمداً ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد



= وله شاهد عن ابن ماجه (١٥٩٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قلت: وإسناده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة.

وله شاهد آخر مرسل: أخرجه ابن سعد (٢/٢٧٥)، وابن المبارك

في الزهد (٤٦٧)

قلت: هو صحيح مرسل.

ومرسل آخر عن عبدالرحمن بن سابط: أخرجه نعيم بن حماد في

«زوائد الزهد» (٢٧١).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه الشواهد، والله أعلم.

٩. عقبات في طريق الصبر

لا بد لمن أراد أن يعتصم بعروة الصبر الوثقى أن يحذر من الآفات التي تعتري النفس البشرية؛ فتعيق الصبر، وتعرض طريقه، وهي:

١-٩- الاستعجال:

الإنسان مولع بالعاجل؛ لأنه خلق من عجل؛ كما في قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧].

فإذا أبطأ الخير عن الإنسان نفذ صبره، وضاق صدره ناسياً أن لكل أجل كتاباً مسمى، وأن الله لا يعجل بعجلة الخلق.

وليعلم العبد أن لكل ثمرة أوان لنضوجها؛ فيحسن عندئذٍ قطافها، والاستعجال لا ينضجها بل يهلكها، وقديماً قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه؛ عوقب بجرمانه.

ولهذا خاطب الله رسوله قائلاً: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من

الرسل ولا تستعجل﴾ [الاحقاف: ٣٥].

والاستعجال من سنن المشركين لجهلهم وسفههم، فقد كانوا يستعجلون عذاب الله غروراً وعناداً، فردّ الله عليهم بما يقطع دابرهم: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ولأنتنهم بفتة وهم

لا يشعرون ﴿ [العنكبوت: ٥٣].

٢-٩- الغضب:

قد يرى المسلم ما يكره، ويسمع ما يؤذيه؛ فيستفزه الغضب إلى الإعراض عن الناس والنفور منهم، ومن ثم إلى اليأس والقنوط وهما آفة الصبر.

فيجب على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة عسى أن يهدي الله به رجلاً واحداً فيكون خيراً له مما طلعت عليه الشمس.

٣-٩- الضيق:

قال الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ [النحل: ١٢٧].

وإذا لجل شأنه: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كتاب أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ [هود: ١٢].

إن الإيمان والكفر والهدى والضلال لا يستطيع الإنسان أن يجلبها لمن أحب ويدفعها عنه، وإنما عليه التذكير والنصيحة والبيان والبلاغ.

٤-٩- اليأس.

اليأس آفة الصبر الكبرى؛ لأنها تطفىء سراج الأمل؛
فيترك العبد العمل، ويخلد إلى الكسل.

ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة المطهرة على غرس
بذور الأمل في نفوس المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتدوا علون إنا كنتم مؤمنين﴾ [آل
عمران: ١٣٩].

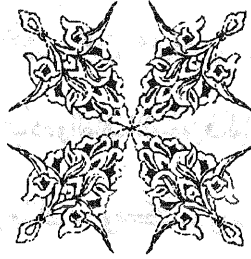
وقال جلّ جلاله مخبراً عن موسى وقومه: ﴿استعينوا بالله واصبروا
إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما
جئنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الأرض فينظر
كيف تعملون﴾ [الأعراف: ١٢٨ و ١٢٩].

وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج
رسول الله ﷺ عندما جاءه خباب بن الأرت رضي الله عنه يشكو
ما يلاقه المؤمنون من أذى المشركين شكوى تحمل معنى الضيق
والتبرم والاستعجال؛ فضرب له رسول الله ﷺ مثلاً فقال:

«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه
من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع الميشار على
مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا
الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا

الله والذئب على غنمه (وفي رواية: ولكنكم تستعجلون)» (١٦).

وما ذلك إلا لأن الأمل أعظم معوان على الصبر على طول الطريق وقلة الرفيق، وبخاصة في زمن الغربة الذي نعيشه؛ فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وافرغ علينا صبراً، وتوفنا مسلمين، والحقنا بالصالحين.



١٠. الأنبياء صبروا

عني الكتاب والسنة بفضيلة الصبر، وحرصاً على توجيه المؤمنين للتحلي به وممارسته خلقاً وسلوكاً؛ فعرض أمثلة رائعة لتطبيق الصبر في مجالاته المتعددة، وألوانه المتنوعة، منها:

١-١٠- أيوب عليه الصلاة والسلام .

لقد قرن اسم نبي الله أيوب عليه السلام بالصبر؛ فكلما ذكر أحدهما ذكر الآخر، وأصبح اسمه مضرب الأمثال؛ فقالوا: «صبر أيوب».

وكان صبره عليه الصلاة والسلام على ما أصابه من ضر في بدنه، وفقد أهله.

قال تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ [الأنبياء: ٨٣ و٨٤].

وقال عز وجل: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارمد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص ٤١-٤٤].

الصبر الجميل

لقد جعل الله سبحانه وتعالى أيوب عليه السلام موضع الأسوة والافتداء فيما اختص به من فضيلة بقوله تعالى: ﴿واذكر﴾ وشرّف الله تعالى أيوب عليه السلام؛ فأضافه إليه إضافة تخصيص وتقريب بقوله: ﴿عبدنا﴾.

ورفع الله منزلته حين استجاب نداءه؛ فرد عليه عافيته وأهله ومثلهم معهم، وجعل له مخرجاً من يمين حلفه تخليصاً له من مآزق الحنث، وتكريماً له على صبره الجميل، وشهد له شهادة حق: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾.

وقد قص علينا رسول الله ﷺ طرفاً من صبره؛ فقال: «إن نبي الله أيوب ﷺ لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان عليه ويروحان».

وقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟.

قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله؛ فيكشف ما به. فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أنني كنت أمر

بالرجلين يتنازعان؛ فيذكران الله؛ فأرجع إلى بيتي؛ فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في الحق.

قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوب أن ﴿امر كض برجلك هذا معتسل بامرد وشراب﴾ فاستبطأته، فتلقته تنظر وقد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحاً؟ فقال: فإني أنا هو.

وكان له أندران - أي بيدران -: أندر للقمح، وأندر للشعير؛ فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض»^(١٧).

(١٧) صحيح - أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦١٧)، وأبو نعيم في «الحلية»، (٣/٣٧٤-٣٧٥)، والحاكم (٢/٥٨١-٥٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٨٨٧) وغيرهم.

من طرق عن نافع بن يزيد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عنه به. قلت: إسناده صحيح، ورواته رجال الشيخين غير نافع بن يزيد، وهو ثقة أخرج له مسلم فقط.

الصبر الجميل

هذا وقد حكّت الإسرائيليات والروايات الواهية أخباراً لا تصح حول صبر أيوب على ما مسّه من ضرر تلقفها الخيال الشعبي؛ فقفا ما ليس له به علم، وأضاف وزاد، والله أعلم بالمراد. ولكن عجيبي لا ينقضي من بعض المفسرين الذين أوردوا تلك القصص والحكايات غير المسنده دون تعليق أو تحقيق؛ فصبر جميل، والله المستعان، وعليه التكلان. ولعل الله عزّ وجلّ يسرّ لهذه التفاسير من يقوم على تصفيتها من هذا الدخن.

٢-١٠- يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.
لقد امتحن يعقوب عليه الصلاة والسلام بفراق أحبّ أبنائه إليه.

ولم يكن فراق يوسف أمراً هيناً أو خطباً يسيراً للآتي :

١- لقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام مضرب الحسن والجمال، فقد آتاه الله شطر الحسن، ومن طبيعة الجمال أن يجب.

٢- ولم يكن فراق يوسف عليه الصلاة والسلام كأبي فراق آخر بين شخصين يعرف كلاهما موطن صاحبه، ويرجو أن ينتهي الفراق بقاء قريب.

وإنما كان فراقاً بعد مؤامرة أدعي فيها موت يوسف مقتولاً.

٣- ولم تكن تلك المؤامرة من أعداء غرباء أو قطاع طريق

أشقياء، وقد يهون الخطب شيئاً سيراً على النفس لكن جاء الكيد والمكر والخداع من إخوة لأخيهم، والكذب من أبناء على أبيهم، وقد قيل: *يا يوسف يا يوسف ما تصفون؟* فقال بعد فراق يوسف: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ [يوسف: ١٨].

وقال بعد فراق ابنه الثاني: ﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني به جميعاً إنه هو العليم الحكيم﴾ [يوسف: ٨٣].

لقد كان صبر يعقوب عليه السلام ليس صبر اليائس القانط إنما صبر الآمل الراجي فضل الله، الواثق أن مع العسر يسراً، وبعد الفرقة اجتماعاً: ﴿بابني اذهبوا فتحسبوا من يوسف وأخيه ولا تبسوا من مروح الله إنه لا يبس من مروح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧].

ومن رحمة الله بعباده أنه قدر ضعف الإنسان فلم يلم يعقوب عليه السلام على ما أبداه من أسف على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن بل بقي في درجة أولي الأيدي والأبصار. ولذلك فإن العبد لا يخرج عن الصبر بكرهة النفس ولا ألم القلب، وسيأتي تفصيله إن شاء الله.

٣-١٠- صبر أولي العزم من الرسل:

وكان صبرهم - صلى الله عليهم وسلم - من أعلى أنواع الصبر؛ لأنه تمثل في الثبات على الحق، وتحمل مشاق الدعوة إلى الله.

وهذا النوع من الصبر هو صبر على تكميل الآخرين، ولا شك أنه أرقى من الصبر على تكميل النفس؛ لأن تكميل الآخرين لا يقوم به إلا الكُمَّل من المؤمنين، والخلَّص من الدُّعاة الغيورين.

إنَّه صبر صفوة الأنبياء والمرسلين الذين أمر الله خاتم رسله وصفوة خلقه ورحمته إلى العالمين أن يتخذ منهم أسوة في صبرهم حين قال: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أ- لقد لبث نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً في قومه يدعوهم إلى الله سرّاً وجهاراً، وليلاً ونهاراً، وتبشيراً وإنذاراً، فلم يجد منهم إلا الإصرار والاستكبار، والسخرية والاستهزاء، ومع ذلك يمضي نوح عبر هذه السنين المتوالية، والأجيال المتلاحقة، دون كلل أو ملل، وكلما أعرض قومه غير وبدل في أسلوبه.

وفي جميع الحالات كان رحيماً بهم خائفاً عليهم عذاب يوم

بئيس.

لقد كان نوح عليه السلام قمة في الصبر، وآية في الحلم والآنسة وسعة الصدر، وأمة في الجد والمثابرة، بذلك أخبر الله عز وجل: ﴿قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزد هم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهاراً ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسراراً﴾ [نوح: ٥-٩].

ولم يكن صبر نوح على قومه بل تعداه إلى أهل بيته، وهذا من الشدائد والفتن التي لا يلقاها إلا الصابرون .

فداعي الله قد يتلى بقومه وأصدقائه؛ فيعاني منهم ما يعاني لكنه إذا عاد إلى بيته وجد الراحة والطمأنينة، وهذا الذي كان يلقاه خاتم الأنبياء في كنف زوجه خديجة رضي الله عنها .

أما نوح عليه السلام؛ فقد ابتلاه الله بقومه وأهل بيته، قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحریم: ١٠].

ولم تكن مصيبة نوح بزوجه آخر مصائبه في بيته، لقد رفض ابنه الإسلام، وأعرض عن أبيه، ووقف في صف المشركين.

ويحاول نوح عليه السلام انقاذ ابنه من برائن الشرك والوثنية، ويخلصه من مخالب الشيطان، ولكن هيهات، قال تعالى:

﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني امرك معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ [هود: ٤٢ و ٤٣].

لقد ابتلي نوح فصبر، ودعا ربه فانتصر، وآتاه الله خيراً مما أخذ منه.

فإذا أخذ الله من نوح ولداً كافراً، فقد أبدله ربه خيراً منه زكاة، وأقرب رحماً، فكتب البقاء لذريته: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ [الصافات: ٧٧].

ب- وإبراهيم عليه الصلاة والسلام استمر في دعوة قومه الذين أصروا على ضلالهم حتى كانت واقعة تحطيم الآلهة وتكسير الأصنام؛ فاجتمع القوم لينتقموا لألهتهم منه، وأرادوا أن يحرقوه في النار؛ كما حرق قلوبهم على أصنامهم.

وأخذ إبراهيم عليه السلام وألقي في النار، فما اضطرب ولا جزع ولا التجأ إلى غير الله بل قال: «حسبنا الله».

ولم يكله الله إلى نفسه، ولا إلى أحد من خلقه، فكانت النار كما أراد الله وليس كما أراد أعداء الله: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

وكما أن نوح ابتلي بكفر زوجته وابنه فقد ابتلي إبراهيم

عليه السلام بكفر أبيه آزر؛ فقال تعالى: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأمرجنك واهجرني ملياً﴾ [مريم: ٤٦].

وامتحن عليه الصلاة والسلام بأن يذبح ابنه اسماعيل الذي هو بكره ووحيدته، قال تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المين وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

إن القلم ليقف حيران أمام جواب الذبيح: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ [الصافات: ١٠٢].

وإنَّ القلم ليتعثر حياءً أمام الاستطراد في تصويرها، وشرح بلاغتها، وتقريبها من النفوس.

عرض من الأب في غاية السهولة، ولكنه يتضمن أمراً عظيماً ألا وهو بذل الروح طاعة لله.

ولو قال لابنه: اذهب للجهاد في سبيل الله، وأرجو الله أن يشرفني بقتلك لهان الأمر؛ لأن الأعداء هم الذين سيقتلونه... وأما في هذا المقام فالوالد الحليم الأواه المنيب هو الذي سيقتل ابنه الصابر الصادق... سيقتله ذبحاً دون إثم اقترفه أو بهتان افتراه. ترى ماذا كان موقف الفتى الذي نشأ في أحضان امرأة

كانت ثقتها بالله واستسلامها لأمره أكبر وأعظم من الوصف.
 لقد حسم الموقف: ﴿ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من
 الصابرين﴾.

افعل ما تؤمر:

لا تأخذ رأيي، ولا تنتظر مشورتي بل نفذ ما أمرك الله به
 دون هوادة ولا إبطاء.

إفعل ما تؤمر:

هذا هو الإسلام: انقياد، وطاعة، وامثال، واستسلام،
 وتنفيذ... ولكن ليس للجبابة والطواغيت بل لله رب العالمين.

إفعل ما تؤمر:

لأن تنفيذ أمر الله أهم من حياتي في هذه الدنيا.

إفعل ما تؤمر:

لأن الله اختارنا حملة رسالة، ولن نتردد في بذل النفس
 والنفيس في سبيل الله.

إفعل ما تؤمر:

وستجدني بمشيئة الله صابراً محتسباً.

وينتقل الإثنان من القول إلى العمل، ويكون الابتلاء قد بلغ
 غايته وحقق ثمرته؛ فلا غرو أن جاءت البشرية من السماء:

﴿وفديناه بذبح عظيم﴾.

ت - وموسى كلیم الله بعثه الله ليواجه طاغوت فرعون وجبروت هامان، وكبرياء قارون.

فما أن بلغ موسى رسالة ربه، حتى طفق فرعون يرغي ويزبد، ويهدد ويتوعد؛ تارة بالسجن: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩].

وطوراً بالقتل: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ [غافر: ٢٦].

ويصبر موسى على هذا كله، ويوجه قومه إلى معين الصبر؛ ليغترفوا منه: ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ث - وعيسى بن مريم روح الله وكلمته بعثه الله إلى بني إسرائيل فلم يجد من أحبارهم إلا التكذيب والعصيان والمؤامرات التي كان ثمرتها أنهم قرروا قتله وصلبه، ولكن الله أحبط سعيهم وخيب ظنهم؛ فقال: ﴿وبكفروهم وقولهم على مرهم بهتاناً عظيماً وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ [النساء: ١٥٦ و١٥٧].

لقد وضع الله سبحانه وتعالى هذه النماذج أمام رسوله محمد ﷺ، لتكون له زاداً ورصيلاً وهو يحمل دعوة عالمية للناس كافة إلى قيام الساعة: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥].

11/10/2011



11/10/2011

11/10/2011

11/10/2011

11/10/2011

11/10/2011

11/10/2011

11/10/2011

١١. أمور لا تنافي الصبر

١-١١ - الشكوى إلى الله.

التضرع إلى الله والالتجاء إليه ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمة؛ لأن العبد يظهر عبوديته لله، وحاجته لربه ومسكته بين يديه.

وقد تحل بالإنسان مصيبة؛ فيشكو همّه ويث حزنه إلى الله، وهذا المقام لا ينافي الصبر ولا يحدشه.

فإن يعقوب عليه الصلاة والسلام وعد بالصبر الجميل فيما أخبره الله عنه: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ [يوسف: ١٨].
وقال أيضاً: ﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم﴾ [يوسف: ٨٣].

والنبي إذا وعد لا يخلف، ومع ذلك أخبر الله عنه: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦].

وأيوب عليه الصلاة والسلام أخبر الله سبحانه وتعالى عنه أنه من الصابرين: ﴿إننا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٤٤].

ومع ذلك فقد شكّا مصيبتيه إلى الله حين ناداه: ﴿واذكر عبدنا

أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ [ص: ٤١].

وفي موضع آخر: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم
الرحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ولذلك إذا أصاب العبد مصيبة وطلب من الله كشفها، أو
تخفيفها، لا ينافي الصبر بل هو مقصد من مقاصد الابتلاء.
وإذا فقد ضالته؛ فطلب من الله أن يردها عليه؛ فلا يחדش
مقام الصبر الجميل.

وإنما ينافي الصبر شكوى الله للعباد، وإظهار الجزع والتبرم
والتضجر والتأفف، كما قدمنا في «شروط الصبر».

فإذا علمت أيها العبد الطائع هذا المقام تبين لك ضلال قول
القائلين: سؤالك الله اتهام لله، تعالى الله عما يصفه الجاهلون علواً
كبيراً.

وهم يحتجون بما أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه
الصلاة والسلام عندما رموا به في النار؛ فاستقبله جبريل فقال:

يا إبراهيم ألك حاجة؟

قال: أمّا إليك فلا.

قال جبريل: فسل ربك؟

فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي^(١٨).

(١٨) هذا الحديث لا أصل له، وإنما هو من الاسرائيليات.

= أوردته البغوي في «معالم التنزيل» (٢٥٠/٣) مشيراً إلى ضعفه، وأنه من الإسرائيليات حيث عزاه إلى كعب الأحبار.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٣٩/٨):
 «ومن هؤلاء من يحتج بما يروى عن الخليل أنه لما ألقى في النار قال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا. قال: سل. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وأول هذا الحديث معروف، وهو: أمّا إليك فلا، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ أنه قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم.

وأما قوله: حسبي من سؤالي علمه بحالي؛ فكلام باطل، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء من دعائهم الله ومسألتهم إياه.

وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة؛ كقولهم: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ ودعاء الله وسؤاله والتوكل عليه عبادة مشروعة بأسباب كما يقدره بها، فكيف يكون مجرد العلم مسقطاً لما خلقه وأمر به، والله أعلم.

وقال ابن عرّاق في «تنزيه الشريعة» (٢٥٠/١) نقلاً عن ابن تيمية:

«موضوع».

٢-١١- الحزن ودمع العين.

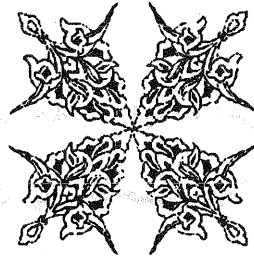
عن أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين - وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام - فأخذه رسول الله ﷺ؛ فقبله وشمه.

ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه؛ فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذر فان.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟

فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة» .

ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإننا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (١٩).



(١٩) أخرجه البخاري (٣/١٧٢-١٧٣-الفتح)، ومسلم (٢٣١٥)

الخاتمة

رزقنا الله أحسنى وزيادة

اعلم أيها الأخ الأصفى، والصديق الخالصة الأوفى: أن
مقام الصبر تفاوتت فيه عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال؛
فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول.
وهذه حال من وقف على ظواهر الأمور، وأما الذي خرق
ببصر ثاقب حجب العاجلة؛ فإنه يسعى حثيثاً لبلوغ الآجلة.
فادع نفسك أيها الأخ إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته
من النعيم المقيم، وكل يعمل على شاكلته، ويصبو إلى ما يناسبه
وما هو أولى به.
ولا تستطل هذا المقام؛ فإنه هو الفاروق الأكبر، والترياق
الأعظم.

ولله در القائل:

فالصبر طلسمٌ على كَنز العُلَى من حلِّ ذَا الطَّلسمِ فازَ بكنزه

وعلى الله قصد السبيل

فهرس الموضوعات

- المقدمة..... ٥
- ١- ما هو الصبر؟..... ٧
- ٢- ما هو حكم الصبر؟..... ٩
- ١-٢- الأمر به..... ٩
- ٢-٢- النهي عن ضده..... ٩
- ٣-٢- الأمر بالاستعانة به..... ٩
- ٤-٢- الثناء على أهله..... ٩
- ٥-٢- إيجابه محبته لهم..... ٩
- ٦-٢- إيجابه معيته لهم..... ٩
- ٧-٢- إخباره بأن الصبر خير لأصحابه..... ١٠
- ٨-٢- إيجاب الجزاء للصابرين بأحسن أعمالهم..... ١٠
- ٩-٢- إيجابه الجزاء للصابرين بغير حساب..... ١٠
- ١٠-٢- إطلاق البشرى لأهل الصبر..... ١٠
- ٣- الصبر ضرورة دنيوية وفريضة شرعية..... ١٣
- ٤- منزلة الصبر..... ١٩

- ١-٤- اقتران الصبر بالقيم العليا في الإسلام..... ١٩
- ٢-٤- اشتمال الصبر على أخلاق الإسلام..... ٢٣
- ٥- شروط الصبر..... ٢٧
- ١-٥- الإخلاص..... ٢٧
- ٢-٥- عدم شكوى الله..... ٢٧
- ٣-٥- أن يكون في أوانه..... ٢٨
- ٦- مجالات الصبر..... ٣١
- ١-٦- الصبر على بلايا الدنيا..... ٣١
- ٢-٦- الصبر عن شهواتك النفس..... ٣٢
- ٣-٦- الصبر على طاعة الله..... ٣٤
- ٤-٦- الصبر في الدعوة إلى الله..... ٣٥
- ٥-٦- الصبر حين البأس..... ٤٣
- ٦-٦- الصبر على الزوجة والأولاد..... ٤٥
- ٧-٦- الصبر على الأخوة في الله..... ٤٦
- ٨-٦- الصبر على طلب العلم..... ٤٨
- ٧- فضائل الصبر..... ٥١
- ١-٧- معية الله مع الصابرين..... ٥١
- ٢-٧- محبة الله للصابرين..... ٥١
- ٣-٧- صلوات من الله ورحمة على الصابرين..... ٥١

- ٥١-٧-٤- ضمان النصر والمدد للصابرين.....
- ٥٢-٧-٥- الوصول إلى منزلة الإمامة في الدين.....
- ٥٢-٧-٦- الحفظ من كيد الأعداء.....
- ٧-٧- الانتفاع بالصبر والاعتناء بآيات الله في الآفاق
والأنفس.....
- ٥٢-٧-٨- استحقاق الصابرين دخول الجنة.....
- ٥٥-٨- أمور تعين على الصبر.....
- ٥٥-٨-١- معرفة طبيعة الحياة الدنيا.....
- ٥٦-٨-٢- اليقين بحسن الجزاء عن الله.....
- ٥٧-٨-٣- معرفة الإنسان نفسه.....
- ٦٠-٨-٤- اليقين بالفرج.....
- ٦٢-٨-٥- الاستعانة بالله.....
- ٦٣-٨-٦- التأسى بأهل الصبر والعزائم.....
- ٦٣-٨-٧- الإيمان بقدر الله وقضائه.....
- ٦٥-٨-٨- استصغار المصيبة.....
- ٦٧-٩- عقبات في طريق الصبر.....
- ٦٧-٩-١- الاستعجال.....
- ٦٨-٩-٢- الغضب.....
- ٦٨-٩-٣- الضيق.....

- ٦٨ ٤-٩- اليأس
- ٧١ ١٠- الأنبياء صبروا
- ٧١ ١٠-١- أيوب عليه الصلاة والسلام
- ١٠-٢- يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة
والسلام ٧٤
- ٧٦ ١٠-٣- صبر أولي العزم من الرسل
- ٨٣ ١١- أمور لا تنافي الصبر
- ٨٣ ١١-١- الشكوى إلى الله
- ٨٦ ١١-٢- الحزن ودمع العين
- ٨٧ الخاتمة
- ٨٩ فهرس الموضوعات

